وخالقوا الناس بخلق حسن . وروى الإمام أحمد ورواته ثقات أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم أحسنت خَلقي فأحسن
خُلقي . وروى الطبراني والبزار أن أم حبيبة قالت يا رسول
الله المرأة يكون لها زوجان ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجاها لأيهما
تكون للأول أو للآخر قال تخير أحسنهما خلقا كان معها في الدنيا يكون
معها في الجنة يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة . وروى
أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن مرفوعا إنكم لن تسعوا
الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق . وفي رواية
إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم والأحاديث في
ذلك كثيرة والله تعالى أعلم . أخذ علينا العهد العام من رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن نروض نفوسنا على مراقبة الله عز وجل
حتى نرفق بخلق الله ونتأنى في تحصيل ما نطلبه ونحلم على من خالفنا
وعصانا وآذانا . وهذا العهد من أكمل أخلاق الرجال وقليل فاعله
ومن تخلق به دوما لم يصدر عنه غلظة ولا فظاظة إلا على من أمره
الله بالإغلاظ عليهم كالكفار . وكذلك من تخلق به لم يشكُ أحد
ممن أبطأ في قضاء الحاجة أبدا لأن الرسول لم يبطئ بها وإنما
أبطأ وقتها المضروب لها في علم الله . وكذلك من تخلق به
لا يقابل أحدا آذاه بنظير فعله أبدا ولو أن جارية رمت
ولده في نار فمات لم يقابلها ولا بكلمة تغيظها بل أعتقها
تماما للحلم . وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يعامل
الجماد معاملة الحي فيضع الإناء برفق ويذبح الطير برفق
ويكسر الخشب برفق ويصعد على ظهر الدابة برفق ويهمز إذا نزل
عنها برفق ويحل الأرض ويقول إن الأرض أختنا . ويحتاج
من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يصبره
على المجاهدة والرياضة حتى يدخله حضرات الأسماء الإلهية
فينصبغ في حضرة الرحيم والحليم والصبور ويصير لا يتكلف الرفق
والحلم ولا الصبر كما لا يتكلف دخول النفس وخروجه من خياشيمه
ومن لم يسلك كما ذكرنا فمن لازمه الإخلال بهذا العهد ويدركه
في نفسه مشقة وتعب فاسلك يا أخي على يد شيخ إن أردت
العمل بهذا العهد والله يتولى هداك . وروى الشيخان
مرفوعا إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله . وفي رواية
لمسلم مرفوعا إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء
إلا شانه . وروى مسلم وأبو داود مرفوعا من يحرم الرفق
يحرم الخير . وروى الطبراني مرفوعا إن الله عز وجل يحب الرفق

ويرضاه

ويرضاه ويعين عليه ما لا يعين على العنف . وروى البزار وابن
حبان في صحيحه مرفوعا ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه . وروى أبو
الشيخ مرفوعا إن العبد ليدرك درجة الصائم القائم . وروى
الأصبهاني مرفوعا وجبت محبة الله على من أغضب فحلم . وروى
الشيخان عن ابن مسعود قال كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه
وهو يقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون والأحاديث في
ذلك كثيرة والله تعالى أعلم . أخذ علينا العهد العام
من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعود نفوسنا طيب الكلام
وطلاقة الوجه لكل مسلم من عدو وصديق ويحتاج من يريد
العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يدخله الحضرات
الإلهية فيشهد محاسن الوجود ويحجبه عن مساويه إذ المحاسن هي
الأصل والمساوي عارضة عرضت من حيث الأحكام الشرعية
لا غير فإذا شهد تلك المشاهد صار يخاطب من الخلق السر القائم
بهياكلهم لا هم ومن كان يخاطب سر الله تعالى فكأنه يخاطب الله ومن
كان هكذا مشهده لم يرزق من طيب الكلام وطلاقة الوجه ما لا يقدر
قدره وجنبه الله كل كلام جافي . وقد كان سيدي أحمد الرفاعي إذا
لقي خنزيرا أو كلبا يقول أنعم صباحا فقيل له في ذلك فقال أعود
نفسي الكلام الطيب وكان يخبر أن ذلك كان من خلق السيد عيسى عليه
السلام . قال ومر الحواريون يوما على كلب ميت فقالوا ما أشد نتن
ريحه يا روح الله فقال هلا قلتم ما أشد بياض أسنانه انتهى . فعلم
أن من لم يسلك على يد شيخ كما ذكرنا فمن لازمه غالبا الكلام الجافي
للناس لا سيما أصحاب الموازين على ظاهر الشرع فإنهم يزدرون ويحقرون
كل من خالف ما فهموه ويغلظون عليه الكلام إلا إن كان له مال أو
جاه كما هو مشاهد كما في خطابهم للأمراء المباشرين مع علمهم بظلمهم
وشربهم الخمر وتضييع الصلوات وغير ذلك فيتلطفون بهم في حال
خطابهم أشد الملاطفة بخلاف من لا مال له ولا جاه من الحشاشين
وأصحاب النكت ولو فتح الله عيون بصائرهم لتلطفوا في كلامهم لسائر
المسلمين فإن ذلك أقرب إلى انقيادهم لهم وسماع وعظهم . وسمعت
سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من شرط الداعي إلى الله تعالى
أن لا يكون عنده غلظة ولا فظاظة على الفسقة المارقين بل يجب
عليه لين الكلام والتقرب إلى خواطرهم بالإحسان حتى يميلوا إليه
فإذا مالوا إليه نصحهم إذ ذاك . وقد بلغنا أن داود عليه
الصلاة والسلام كان يغلظ القول على عصاة بني إسرائيل
حتى إنه لما يقول اللهم لا ترحم من عصاك فلما وقع في الخطيئة التي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)